

العائلات اللبنانية
. رحلة في جذور التاريخ (آل الاسعد)
الجزار سعى الى حرب اهلية في جبل الدروز
بإثارة العداء بين يوسف الشهابي واسماعيل انتقم من العامليين وعرض رؤوس المتمرّدين ولجأ الى «الخوزقة» لإثارة الرعب
حمزة النصار أعلن الثورة على الجزار قتل في المعركة فهرب اولاد ناصيف وعلي الزين الى الشام

 17 تشرين الثاني، 2013



اعداد : انطوان شعبان

عيّن الجزار عساكر من العامليين انفسهم، ومع ذلك لم يجده ذلك نفعاً، لأنهم حين كانوا يحضرون للبحث عن المشايخ العصاة، يكون هؤلاء قد انتقلوا الى مناطق اخرى وعرة او الى اطراف البلاد، في حين يكون جنود الجزار في اوّلها، واشار الى ذلك المؤرخ ابراهيم العودة بقوله: «وقد عانت بلاد عاملة كثيراً من هجمات اولئك «الطياح»، لانها وقعت بين نارين، نار متسلمي الجزار وجنوده، ونار الثوار. فكان الباشا يرسل متسلميه وجنوده السردلة لملاحقة العصاة، فيعيثون في البلاد فساداً ويضيقون على السكان، ويغير الثوار على القرى فيسلبون وينهبون ويحرقون ما يصادفهم من امتعة، ومن ثمّ يفرّون في بطون الاودية او يعتصمون في قمم الجبال. وكان الاهالي يدفعون الميري والذخائر للمتسلمين والعساكر السردلة (وجاء ايضا السرولي) الذين كانوا يدّعون بأنهم يحافظون عليهم من التعديات، هذا الى جانب ما كانت تعانيه البلاد التي يمرّ بها هؤلاء من اعمال السخرة ومصادرة الغلال والمواشي والدواب. كما كانوا يدفعون الميري والذخائر للمشايخ (الثوار) واتباعهم، بحجة ان البلاد بلادهم...».

وفي العام 4871، صدرت اوامر الآستانة الى الجزار «بتجهيز حملة لتدمير دولة المماليك في مصر... وفي الوقت نفسه الذي تلقى فيه تلك الاوامر، وصلته رسائل من المماليك ينذرونه فيها، بتنفيذ تعهداته والتمرّد معهم ضد السلطان العثماني. لكن الجزار تمكن من التخلّص من هذا المأزق، بايهام كلا الطرفين بحدوث تطورات في ولايته، تستدعي عدم مغادرته لها، فسعى الى اثارة حرب اهلية في جبل الدروز، عن طريق التفرقة بين ذوي النفوذ فيها، او التلويح للطموحين في الاسرة الشهابية بمنصب الامير الحاكم، او عن طريق اثارة الكراهية والعداء في ما بينهم بمختلف السبل والوسائل...

ونجح الجزار باثارة العداء بين ملتزم جبل الدروز الامير يوسف الشهابي وخاله الامير اسماعيل الشهابي متسلم مقاطعتي مرجعيون وحاصبيا التابعتين لادارة ولاية دمشق، وامدّ الامير الاخير بقوات من عنده، اقامت معسكراً لها في جزين، لكنها هزمت في جباع... ففرض حصاراً اقتصاديا على جبل الدروز، الذي لا ينتج من الحبوب الغذائية ما يكفي حاجة سكانه، لعلّه يتمكن عن طريق التجويع تحقيق ما عجز عنه عسكرياً اي بتأليب جميع رعايا الجبل على اميرهم حين يشعرون بالجوع، وبالتالي الضغط عليه لقبول شروط الباشا. ولم يكتب لهذه السياسة النجاح، مما دفع الباشا في الاول من حزيران 4871 الى تسيير قواته ورجال الامير اسماعيل نحو جبل الدروز، وما كادت تلك العساكر تتوغل وتقيم لها معسكراً، حتى جاءها امر بالانسحاب فوراً، وسيّرها الباشا الى جبل عامل الذي ازداد فيه نشاط الثوار. فقد استغلّ «الطياح» انغماس الجزار في القتال الدائر بين امراء آل شهاب في الشوف، وسحبه اعدادا كبيرة من قواته المتواجدة في بلاد عاملة لمساندة حليفيه الاميرين الشهابيين اسماعيل وسيّد احمد، فزادوا من غاراتهم وهجماتهم على القوات القليلة المتبقية في بلادهم، وتشجع فتيانهم الذين فرّوا الى دمشق فحضر حوالى ستماية فارس منهم، وشكّلوا مع «الطياح» قوة مهاجمة، انضم اليها



حوالى الف من فلاحي جبل عامل. وشجعهم الامير يوسف الشهابي وتحالف معهم، وسهّل امدادهم بالسلاح والمؤن والمقاتلين. وتقدّم الشيخ عقيل ناصيف النصّار ومعاونه مرعي فدوني، بهذه القوة في الجبال المؤدية الى قلعة تبنين، وكان هدفه استخراج الثروة التي كان قد تركها والده مطمورة تحت شجرة في الحصن، وكانت قد فشلت جميع جهود الجزار للعثور عليها. وفوجئ الشيخ الشاب بوجود قوة مسلحة من المغاربة، كان قد تركها الباشا في القلعة لحفظ الامن في البلاد المجاورة، فأفنى تلك القوة، ونقل الكنز الى مكان امين. ولم يقتل من رجاله سوى اربعة، ثم غادر القلعة بعد ان ترك فيها حامية من رجاله، واحرق ونهب عدة قرى وتابع زحفه نحو عكا. واصيب الجزار بالهول حين ترامى اليه، النصر الذي احرزته قوات «الطياح» في تبنين، وخشي من انتفاضة سكان جبل عامل والتفافهم حول الشيخ الشاب، مما قد يؤدي الى استقلالهم وتعرّض قواته للفناء، نظرا للتحالف القائم بين العامليين وامير جبل الدروز، وما يلي ذلك من قطع الامدادات عن عساكره التي تقاتل في الشوف. فقرّر اخماد الفتنة في مهدها، والحيلولة دون ازدياد نفوذ متمردي جبل عامل بين ابناء ملتهم، وبالتالي تدهور مكانته بين رعاياه...»

إنتقام الجزار من «ثوار» جبل عامل

وفي الاول من حزيران عام 4871 «اصدر الجزار امرا الى القوات التي كان قد سيّرها في ذلك اليوم لاجتياح جبل الدروز، بالانسحاب وارسلها من جديد الى جبل عامل. واضطر الامير اسماعيل الشهابي العودة باتباعه الى صيدا، وقصف الباشا اربعة قرى عاملية ودمّرها تدميرا كاملا، كما تمكّنت قواته من الانتصار على «الطياح». وفي الثاني من حزيران عرض الباشا رؤوس القتلى المتمرّدين خارج ابواب المدينة، كما امر بخوزقة احد الزعماء العامليين، وذلك لاثارة الرعب والخوف لدى سكان الولاية، فلا يجرؤ احد على مخالفة اوامره لان ذلك سوف يكون مصير كل متمرّد، ولترهيب انصار الامير يوسف فيتخلون عن نصرته».

حمزة النصّار يقود الثورة

وفي تفاصيل اخرى عن تلك الاحداث، انه في العام 3871 (8911هـ)، «وقعت حرب عظيمة بين الجزار والامير يوسف الشهابي، وكان العامليون يقاسون الضغط، وكان الزعماء مشرّدين يتحيّنون الفرص، ولما تسامعوا بذلك جاؤا الى الامير يوسف فأمدّهم بالخيل والسلاح وتوجهوا الى بلادهم. وفي هذه السنة جاء ذكر الشيخ علي الزين صاحب شحور فقام التاريخ العاملي يحدّثنا عنه بأنه قام في الامة العاملية رافعاً عقيرته وناداهم للقيام بواجبهم المقدّس وتولى بنفسه ادارة

شؤون هذه الحركات، وزعّم الشيخ حمزة بن محمّد النصار من آل علي الصغير، وهو اخو عباس المحمد وعمّ حمد العباس المحمد، وضمّ اليه اولاد ناصيف، واقام الحرب على ساق، ففي يوم الاثنين 21 رجب سنة 8911 هـ 3871م، اعلنوا الثورة فتوجهت القوات الى تبنين فقتلوا المتسلم المقيم فيها من قبل الجزار وهرب الكاتب بالدفاتر وهو من بيت الايوب الى صيدا وفيها الجزار، فأرسل الجزار عسكراً الى شحور فوقعت الحرب فيها نهار الثلاثاء 31 رجب، وقتل من الشيعة مقتلة عظيمة كما في رواية مروة، وفي رواية الركيني قرب مئتي قتيل، واخذوا جملة اسرى ونهبوا البلد نهبة عظيمة وحملوا رؤوس القتلى الى صيدا. وفي يوم الواقعة فرّت الناس الى الجبال والاوعار خوفا من تنكيل الجزار، ثم قتل الشيخ حمزة شرّ قتلة وقتل معه جماعة من اكابر الشيعة كما قيل واطلقت الاسرى، وهرب الشيخ علي الزين مع اسرته واولاد ناصيف الى الشام واقاموا فيها، ثمّ ان الجزار اصبح والياً على الشام سنة 9911هـ (نحو العام 4871م) ففروا الى العراق، واقام اولاد ناصيف عند حمد الحمود شيخ الخزاعل واشتركوا معه في حرب دارت بينه وبين ثامر الحمود شيخ المنتفج واظهروا بها كل بسالة واقدام. واما الشيخ علي الزين فانه ذهب الى الهند واستوزر بها ونال رتبة عالية، ثمّ عاد الى بلاده بعد احتلال بريطانيا للهند».

ونحو العام 6871 كان الجزار قد «اصبح سيّد سوريا الاوحد، تخضع لأمره البلاد الممتدة من اللاذقية شمالا الى غزة جنوبا ومن البحر المتوسط غربا الى بادية الشام شرقا، يحكم هذه البلاد الشاسعة بواسطة ضباط...».

وكان «قد بدأ يسود التذمر والشكوى، لدى مشايخ واعيان القرى المجاورة لمدينة صور، والخاضعة لحكم ضبّاط الجزار، وصاروا ينتظرون الفرصة المناسبة للتخلّص من حكامهم، والعودة الى حياتهم السابقة لأسباب اوّلها: معاناتهم من ظلم هؤلاء المتسلّمين، والضيق الواقع عليهم لاضطرارهم الى دفع الميري والذخاير والمؤن مضاعفة للحكومة والطياح. وثانيها: انه لم يعد لهم املاك شاسعة يعتاشون منها، ولا يجيدون مهناً للعمل بها، ولا تعوّدوا ممارسة التجارة، ولا يمكنهم التسول، بل يفضلون الموت على ذلك. وثالثها: انهم يتحدّرون من طبقة اجتماعية اعتادت رفاهة العيش، وان تكون حاكمة لا محكومة...».

الجزار يقمع إنتفاضات جبل عامل

ونحو العام 5871 كانت محاولة اخرى لاستعادة العامليين استقلالهم، فلما «شعر هؤلاء المشايخ ان انتقال الجزار من عكار الى دمشق، ومن ثم توجهه بالدورة الى منطقة نابلس، فرصتهم التي كانوا يتحيّنونها لاستعادة سيادتهم على قلاعهم ومقاطعاتهم السابقة، نظرا لتوزع قوات الجزار في ولايات صيدا وطرابلس ودمشق، واضطراره لاصطحاب اعداد وافرة منهم في الدورة... وعقدوا اجتماعات متعددة لهذا الغرض، تمّ فيها الاتفاق على الانقضاض على عمّال وجنود الوالي في جبالهم، وقرروا ان يستهلوا مخططهم بالهجوم على صور وذبح عساكر ومتسلّم الجزار فيها. ولكن سليم باشا (مملوك الجزار الذي عيّن واليا على صيدا) علم بالمؤامرة قبل تنفيذها، فأصدر امرا الى متسلم مدينة صور باعتقال المشايخ والاعيان المتآمرين وارسالهم الى عكا، وفي اليوم الرابع عشر من ايار 5871 نفّذ الباشا بهم عقوبة الاعدام، فخوزق اربعة وثلاثين منهم على ابواب المدينة، على مرأى من القنصل الفرنسي في عكا (REGNAULT)، الذي كتب الى حكومته قائلا: «... لا يزالون حتى الآن ويشاع بأنهم سوف يستبدلون بعدد من ابناء وطنهم، الموقوفين كذلك والمتهمين بالتحالف مع المتمرّدين...».

وفي هذه الاثناء توقّع احمد باشا الجزار حصول محاولة اخرى لانتزاع سيادة جبل عامل يقوم بها آل علي الصغير النازلين في مشغره، فلما «علم سيد سوريا بما حدث في صور وجوارها، وكان يستعد للخروج بقافلة الحج من دمشق الى مكة، وكانت جماعة من العامليين، من آل علي الصغير قد فرّت الى مشغرة، واقامت فيها باذن وحماية الامير يوسف الشهابي. فخشي ان يستغل هؤلاء فرصة غيابه، وتوزع قواته بين ولايات طرابلس وصيدا ودمشق، ومرافقة عدد من تلك العساكر لقافلة الحج الشامي، فيتوجه هؤلاء المشايخ الى جبل عامل بمساعدة الامير الشهابي الحاكم، للانتقام لما اصابهم على يد الباشا وقواته، فقرّر ان يزيل مخاوفه بالقضاء عليهم عن طريق الامير يوسف، والفرصة متاحة امامه الآن نظرا لوجود الشيخ سعد الخوري مربّي ومستشار الامير يوسف مرتهناً لديه (الى حين تسديد كامل المبلغ المقرّر مقابل التزام جبل الدروز ومقاطعتي حاصبيا ومرجعيون)، وبذلك سوف يجبر الامير الشهابي على تنفيذ ما يطلب منه، ولن يجرؤ مطلقاً على معارضته خشية تعرّض الشيخ سعد لأي اذى، كما يتمكن بذلك من تحقيق هدفين مهمين. في وقت واحد: ضرب التحالف

العاملي الشهابي وزرع بذور الفتنة والانشقاق بينهما والحيلولة دون اتحادهما ثانية، والقضاء على ان الصغير اللاجئين في مشغرة دون ان يتكلف شيئا. وقبل خروج الجزار بقافلة الحج اصدر امرا الى الشيخ سعد الخوري، ان يكتب الى سيّده امير جبل الدروز بالقاء القبض على مضيفيه العامليين، وارسالهم الى والي صيدا سليم باشا. واستجاب الامير يوسف للامر،

وسلّم العامليين الى عدوّهم (نحو سبعة عشر شيخا)، وقد اثار تصرّفه هذا استنكار المعاصرين، لانه يتنافى وتقاليد المنطقة التي تحث على حماية اللاجئ والدفاع عنه، واشار الى ذلك المؤرخ حيدر الشهابي بقوله: «... لم يحفظ الجوار ويرعى الذمام... ولام الناس الامير يوسف على ذلك...».

مواضيع مشابهة


16 آذار، 2014
من القصير الى يبرود...يزداد القلق الإسرائيلي!


16 آذار، 2014
العائلات اللبنانيّة... رحلة في جذور التاريخ (آل ...


14 آذار، 2014
العائلات اللبنانيّة... رحلة في جذور التاريخ (آل ...

14 آذار، 2014
يبرود سقطت عسكرياً... وخطة محكمة لإسقاطها فعلياً

أضف تعليقا





التعليقات (0)

لا يوجد تعليقات على هذا المقال

كتاب اليوم

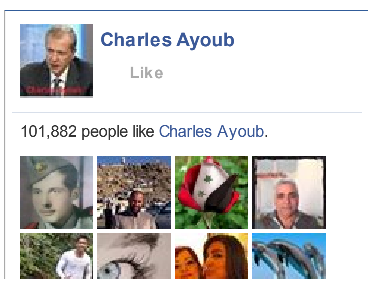
- نبيه برجي
- دوللي بشعلاني
- سيمون ابوفاضل
- جهاد نافع

الأكثر قراءة

1

16 آذار، 2014
من القصير الى يبرود...يزداد القلق الإسرائيلي!

2
16 آذار، 2014



ما هو تقييمك لمحتوى الموقع

- سيئ
- لابأس
- جيّد

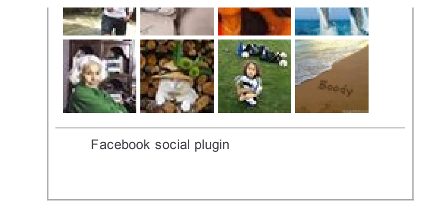
- محمد باقر شري
- اسكندر شاهين
- كمال ذبيان

"جبهة النصرة" ...

3

16 آذار، 2014

خمسة أسرار لا نعرفها عن شمع الأذن



Facebook social plugin

قدم

تواصل معنا





الصفحة الأولى | سياسة | حقيقة الديار | تقارير | دوليات | منوعات | رياضة | إقتصاد | أرشيف

شارل أيوب
Charles Ayoub